

صيغ الأمر وأسرارها البلاغية في سورة الإسراء

Command formulas and their rhetorical secrets in Surat Al-Isra

- الباحث: فضل أحمد فاضل

- أستاذ قسم اللغة العربية كلية الآداب جامعة هرات الحكومية بأفغانستان¹

- الباحث: عزيز الرحمن حنفي

- أستاذ قسم أصول الفقه، كلية الشريعة جامعة هرات الحكومية بأفغانستان²

- الإيميل: Azizurrahmanhanafi@gmail.com

تاريخ النشر: 2026/06/20

تاريخ القبول: 2026/06/19

تاريخ الاستقبال: 2026/05/19

الملخص

القرآن الكريم ذلك المعجزة الإلهية الخالدة، وكلامه العظيم، المتعبد بتلاوته، له فضل كبير وأثر بالغ في توحيد اللغة العربية وتطويرها إلى جانب علومها الصرفية والنحوية وآدابها. كما أسهم في تأسيس قواعدها ومنحها جمال السبك، وعذوبة السجع، وروعة البيان، ما عجز عن مجاراتها فحول بلغاء العرب. يهدف هذا البحث إلى إبراز جانب من الفنون البلاغية لاسيما البيانية في صيغ الأمر الواردة سورة الإسراء. ويسعى البحث للإجابة عن السؤال الرئيس: ما الدلالات البلاغية التي تحملها صيغ الأمر في هذه السورة؟ وقد اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي مستفيدا من كتب التفسير والبلاغة وأصول الفقه. أظهرت النتائج أن صيغ الأمر ترد في أكثر من خمسين موضعا في هذه السورة، وأن الأصل فيها هو الوجوب لكنها تحمل دلالات بلاغية متنوعة مثل: الإرشاد والتهديد والتسوية والدعاء والتعجيز والاستحباب إلى جانب الوجوب. وقد خرجت صيغة الأمر في 17 موضعا عن معناها الحقيقي وهو الوجوب إلى هذه المعاني المجازية، بينما جاءت صيغ الأمر بصيغة "قل" في 21 موضعا مخاطبا بها الرسول ﷺ لتبليغ الدعوة، وفي 12 موضعا آخر جاءت لتشريع الأحكام. خلص البحث إلى أن كثرة استعمال صيغ الأمر في سورة الإسراء تتناسب مع مضمونها العقدي والتربوي وأن التأمل في السياق والقرائن ضروري لفهم المراد البلاغي مما يؤكد الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية: الأمر، الإنشاء، الخبر، دلالة، سورة الإسراء.

Abstract:

The Holy Qur'an—the eternal divine miracle and His great speech, the recitation of which is an act of worship—holds immense merit and profoundly impacts the unification and development of Arabic, alongside its morphological, syntactic, and literary disciplines. It has established Arabic's rules, granting it

1 فضل أحمد فاضل

2- عزيز الرحمن حنفي

صيغ الأمر وأسرارها البلاغية في سورة الإسراء؛ فضل أحمد فضل؛ عزيز الرحمن حنفي

compositional beauty, rhythmic sweetness, and eloquence that surpassed even the most accomplished Arab rhetoricians. This research highlights an aspect of rhetorical artistry, particularly figurative language (al-bayan), in imperative forms within Surah Al-Isra. It addresses the main question: What rhetorical significations do imperative forms carry in this surah? Employing a descriptive-analytical approach, drawing from tafsir, balaghah, and usul al-fiqh, the findings show that imperatives occur in over fifty instances. While their literal meaning is obligation (wujub), they convey diverse rhetorical significations: guidance, threat, equalization, supplication, rendering incapable, and recommendation. In 17 instances, the imperative deviates from obligation to these figurative meanings. "Say" (qul) appears in 21 instances addressing the Prophet to convey the message, and in 12 instances to legislate rulings. The research concludes that the frequent use of imperatives in Surah Al-Isra aligns with its doctrinal and educational content, and contextual reflection is essential for understanding rhetorical intent, affirming the Qur'an's linguistic inimitability (i'jaz).

Keywords:

Imperative (al-amr), performative expression (al-inshā'), declarative expression (al-khabar), semantic indication (dalālah), Sūrat al-Isrā'.

المقدمة

إن الإلمام بالقرآن الكريم واللغة العربية وفقهما يشكل أساس كل العلوم العربية بل هي مفتاح كل العلوم البشرية في العالم أجمع، لذلك حرص المسلمون بمعرفة القرآن الكريم منذ نزوله على الرسول ﷺ كما حاولوا معرفة اللغة العربية الراقية منذ القديم، وتباهوا بمفرداتها وبلاغتها وتنافسوا في فصاحتها في أنديتهم وأسواقهم، وحلهم وترحالهم وتسابقوا في ميدان كشف أسرار هذه اللغة ومقاصدها الأدبية واللغوية. فمن أجل ذلك أقبلنا بخدمة هذه اللغة المتحضرة لا يعبأ به؛ إجلالا لعظمة الكتاب الذي نزل بها ولذلك اختارنا موضوعا من الموضوعات التي تتعلق به مباشرة وهو هذا الموضوع الذي يحمل عنوان (دلالة صيغ الأمر في سورة الإسراء).

مشكلة البحث: معرفة صيغ الأمر في سورة الإسراء ودلالة كل واحد منها على المعنى البلاغي تؤثر في فهم اللغة العربية بوجه أحسن لأنها تساعد الطالب في فهم النصوص القرآنية بشكل أحسن من خلال سياقها وسباقها ومنها إلى معرفة التأثير القرآني في نفوس المتقين.

أهمية البحث: إن دراسة المفاهيم البلاغية في القرآن الكريم من أشرف الدراسات والعلوم؛ لأنها تهدف إلى بيان ما في القرآن الكريم من قيم جمالية خلبت الألباب، وسيطرت على القلوب، وأقنعت العقول، وجاءت بأروع الأمثلة في جميع ميادين الحياة، حيث أعجزت جميع البشر من أن يأتوا بمثلة ولو كانت سورة واحدة، كما أن اكتساب المعلومات عن اللغة العربية يساهم في تطويرها وحفظها من الزوال.

نظرا لأهمية المفاهيم البلاغية في اللغة العربية من ناحية المفردات والقواعد نجد أن بعض القواميس تخصص صفحات لهذا الموضوع المهم كما أن هناك أدباء ومتخصصون عنوا بهذا الجانب من البحوث العلمية الأدبية التي لا تحصى

صيغ الأمر وأسرارها البلاغية في سورة الإسراء؛ فضل أحمد فضل؛ عزيز الرحمن حنفي

ولا تعد حول هذا الموضوع. وغيرها من الموضوعات العلمية والبلاغية والفنية؛ إذن يجب على المسلمين الانتباه إلى الجوانب البلاغية واللغوية في القرآن وهذا هو الدليل لاختيار هذا البحث.

أهداف البحث:

1. الوصول إلى صيغ الأمر ودلالة كل واحد منها على معناها البلاغي في سورة الإسراء.
2. معرفة صيغ الأمر ودلالاتها البلاغية في سورة الإسراء.
3. التعرف على المفاهيم الأخرى التي أتت في هذه السورة بهذا المعنى.

أسئلة البحث:

ما دلالات صيغ الأمر في سورة الإسراء؟

ما صيغ الأمر في اللغة العربية؟

ما دلالات صيغة الأمر؟

الدراسات السابقة:

تكلم الدكتور توفيق محمود (1993م) في كتابه (صورة الأمر والنهي في الذكر الحكيم) حول الأمر والنهي في القرآن الكريم بشكل وسيع وشامل أما إنه لم يتكلم حول الأمر وصيغته سورة سورة، فإنه تكلم حول الموضوعات البلاغية في القرآن الكريم فتناول في موضوعه الأمر والنهي كذلك بشكل توضيحي دون أن يذكر كل صيغ الأمر في كل السور القرآنية، كما كتب الدكتور عثمان قدرى مكانسي مقالاً حول أساليب التربية في القرآن الكريم الأمر والنهي أمودجاً، دون أن يدخل في كل صيغ الأمر فيشرحها شرحاً بلاغياً. فرأينا الأمر مهما حيث يحتاج إلى توضيح صيغ الأمر في هذه السورة الكريمة وتجريدها بالبحث، فبدأنا بالبحث حولها فكتبنا حول الأمر وصيغته من الناحية البلاغية وأسرارها من الكتب التفسيرية والأصولية والبلاغية وبعض المراجع والمصادر الأخرى، في هذا الموضوع، نرجو أن يستفيد منه الراغبون في هذا الأمر.

المبحث الأول: الكلام وأنواعه

المطلب الأول: تقسيم الكلام إلى خبر وإنشاء

الخبر هو ما احتمال الصدق والكذب لذاته فقولنا: «ما احتمال الصدق والكذب» احتراز على الإنشاء فإنه لا يحتمل الصدق ولا الكذب. وقولنا: «لذاته» ليشمل التعريف كلام الله تعالى مثل ﴿أَلَهَيْكُمُ النَّكَاتُ (1) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (2)﴾ [النكاثر: 1-2]

والأمور البديهية مثل الواحد نصف الاثنين، والكل أكبر من الجزء.

الإنشاء هو ما لا يحتمل الصدق ولا الكذب لذاته كـ «أقم الصلاة»، «لا تشرك بالله».¹

المطلب الثاني: الإنشاء الطلبي

وهو ما استدعى مطلوباً غير حاصل وقت الطلب وهو أقسام منها:

الأمر: وهو طلب إيجاد الشيء بصيغة دالة عليه مثل «أطع والديك».

1. الجارم، أمين، البلاغة الواضحة، ط2، مكتبة البشري، كراتشي، 2010م: ص 154.

صنيع الأمر وأسرارها البلاغية في سورة الإسراء؛ فضل أحمد فضل؛ عزيز الرحمن حنفي

المطلب الثالث: الإنشاء غير الطلبي

وهو ما استدعى مطبوعاً حاصلًا وقت الطلب، كصنيع العقود نحو: بعت واشترت وزوجت مرادًا بها إمضاء العقد، وكصنيع القسم نحو «والله لأصدقن في الحديث»، وكالمذبح نحو «نعم الطالب المجد»، والذم نحو: «بئست الصفة الحسد».¹

المبحث الثاني: سورة الإسراء ومقاصدها

المطلب الأول: نبذة عن السورة

هذه السورة من السور المكية بالإجماع نزلت في سنة الحادية عشرة وقد سميت بهذا الاسم لما ورد في مطلعها من قصة الإسراء بالرسول ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى كما تسمى سورة بني إسرائيل لأنها تحدثت عن إفسادهم في الأرض وتجبرهم فيها وتسمى سورة سبحان أيضا لأنها افتتحت بتسبيح الله تعالى وتكررت فيها في أكثر من آية.

وأما عدد آياتها أحد عشرة ومائة آية وهي بذلك مساوية لسورة يوسف من حيث العدد والمناسبة بينهما أن سورة يوسف تكلمت عن بداية اليهود وسورة الإسراء تتكلم عن نهاية هذا القوم المتكبر الجبار. السورة مشتملة لجملة من خصائص السور المكية كما أنها اشتملت على خصائص السور المدنية لأنها من أواخر ما نزل من السور بمكة، فكأنها كانت بمثابة التمهيد للعهد المدني.²

السورة اشتملت على توحيد الله تعالى وتنزيهه من جميع النقائص، والآداب الاجتماعية المرتبطة بالعقيدة، وتكلمت عن بني إسرائيل وطرف من قصص آدم وإبليس وتكريم الله تعالى للإنسان. أما العنصر البارز والمحور الأساسي لمحاوَر هذه السورة فهو الإسراء والمعراج وموقف أهل مكة منه.

كما أكدت السورة مبدأ المسؤولية الفردية وأن طريق الهداية واضح، كما بينت إعجاز القرآن الكريم واستحالة أن يأتي أحد بمثله، والحكمة من إنزاله متفرقا لتطبيق أحكامه، وقررت أن الإنسان يتحمل وحده عاقبة أعماله وأفعاله، كما ذكرت أن سنة الله هي عدم التعذيب إلا بعد إرسال الرسل، وكذلك اهتمت السورة بمكارم الأخلاق ودعت إلى الإحسان إلى الوالدين والمساكين وصلة الرحم ونحت عن التبذير والقتل والزنا وغيرها. كما دحضت أوهام الجاهلية في نسبة البنات والشركاء لله، وأمرت المؤمنين بالقول الحسن وحذرتهم من وساوس الشيطان. هذه أهم مقاصد السورة وبمزيد من التأمل فيها يظهر مقاصد أخرى والقرآن الكريم لا تنقضي عجائبه ولا يشبع منه قارئه ومتأمله.³

1. المراغي، علوم البلاغة البيان والمعاني والبدیع، ط2، دار القلم، بيروت، 1984م: ص59-60، أبو المعالي القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ط3، دار الجيل، بيروت: لبنان، د. ت، 51/3.

2. الصابوني، صفوة التفاسير، المكتبة الحبيبية، كويته، د. ت، 138/2، الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ، 8.

3. الصابوني، نفس المرجع: 138/2، ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار التونسية، تونس، 1984م: 7-9/15.

صيغ الأمر وأسرارها البلاغية في سورة الإسراء؛ فضل أحمد فضل؛ عزيز الرحمن حنفي

المطلب الثاني: صيغ الأمر في سورة الإسراء

صيغة (الأمر) في العربية هي القسم الثالث من أقسام الفعل بعد الماضي والمضارع، ويعبر أهل اللغة عنها بـ (افعل)، كقولك: اقرأ، وادرس، واذهب، وغير ذلك من الأفعال التي تدل على طلب فعل شيء معين. ويذكر أهل اللغة أن صيغ الأمر في اللغة العربية أربع:

أولها: فعل الأمر الحاضر؛ كما مثلنا؛

ثانيها: اسم فعل الأمر؛ نحو: رويد زيدا أي أمهله؛

ثالثها: الفعل المضارع المجزوم بلام الأمر؛ نحو: ليدرس؛

رابعها: المصدر النائب عن فعله؛ نحو: صبرا آل ياسر؛¹

وقد أجمع العلماء أن من أراد أن يطلب من غيره فعل شيء، فلا يجد ألفاظا موضوعة لإظهار مقصوده سوى ما كان على وفق هذه الصيغ الأربع. ومن بين هذه الصيغ، ورد في سورة الإسراء نوعان: صيغة المصدر النائب عن فعله وصيغة الأمر الحاضر.²

من خلال تتابع الآيات في هذه السورة نجد أن هناك مصدرا واحدا يفيد الأمر وهو النائب عن فعله في قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: 23]. أما بقية صيغ الأمر كلها من صيغة الأمر الحاضر وتزيد عن خمسين موضع. هذا العدد الكبير من استعمال صيغ الأمر في سورة الإسراء يدل على وجود علاقة بين كثرة هذه الصيغ وبين مضامين السورة ومفاهيمها. وبعد استخراج الأفعال الأمر في السورة وتحليل المعاني الكامنة فيها، نجد أن كثرة استعمال صيغ الأمر فيها يرجع إلى الأسباب التالية:

- السورة مكية وكما لا يخفى علينا أن السور المكية تدور حول الأمور العقدية، واستعمال صيغ الأمر فيها غالبا يكون لإبلاغ الكفار بجميع مشتملاته العقدية في هذه السورة؛
- جاء الأمر لبيان توحيد الله وتنزيهه عن الولد والشريك والناصر والمعين على لسان رسول الله ﷺ؛ فإننا إذا دققنا النظر نجد أن محور موضوعات السورة الأصيل هو شخص الرسول الكريم ﷺ، وموقف القوم منه في مكة، ومن ثم فإن إرشاد الله نبيه ﷺ وإلزامه بفعل أو عمل من الأعمال جاء في السورة بصيغة الأمر.
- تبين السورة قواعد السلوك الفردي والجماعي وآدابه ومكارم الأخلاق القائمة على العقيدة - كما أشرنا إليه - وقد جاءت هذه القواعد غالبا بصيغة الأمر والنهي، فنجد الآيات تدعو إلى الإحسان إلى الوالدين، وصلة الرحم والعطف على الفقير والمسكين وابن السبيل وتنهاي عن التبذير، والزنا، والقتل، وأكل مال اليتيم، وتطفيل الكيل والميزان، والكبر والبطر وأمور أخرى يستدعي استعمال فعل الأمر بمدلولاته المختلفة في السورة.

1. الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، د. ط، المكتبة العصرية، بيروت، د. ت، 71/1.

2. المراغي، نفس المرجع: 71.

صيغ الأمر وأسرارها البلاغية في سورة الإسراء؛ فضل أحمد فضل؛ عزيز الرحمن حنفي

المطلب الثالث: دلالة صيغ الأمر وما ورد منها في سورة الإسراء

استعملت صيغة الأمر في وجوه كثيرة، اشتهرت منها ستة عشر وجهاً غير الوجوب وهي الإباحة، والندب، والتهديد، والتعجيز، والإرشاد، والتسخير، والتسوية، والدعاء، والإهانة، والامتنان، والإكرام، والتعجب، والتكوين، وكمال القدرة، والتأديب، والتمني¹ لكن معناه الحقيقي هو الوجوب فيحمل عليه مطلقه ما لم تقم قرينة خلافه فإذا قامت قرينة على خلافه يحمل عليه على أساسه.²

من خلال تتبع الآيات نجد أن صيغة الأمر في هذه السورة جاءت على معان عدة غير الوجوب، وهي:

الأول: معنى الإرشاد

يقصد الأمر للإرشاد إذا صدر من أعلى مكانة بما فيه مصلحة للمأمور، ويؤثر في هيئة النطق فيختفي الجزم أو يقل درجته. ولا يقال: إن الأمر هنا للوجوب، لكون مصلحة الأمر راجعة إلى المأمور؛ لأن المأمور به إنما يكون واجباً إذا ورد في مقام الأمر والإلزام من الله تعالى.

إذن الأفعال مختلفة من حيث اختلافها في الاشتغال على المصالح المختلفة؛ لأن المصلحة الكامنة في الفعل: إما ملزمة أو غير ملزمة، ومراتب الإلزام أيضاً مختلفة قد تبلغ إلى النهاية، وأقل مراتب الإلزام يكون الإرشاد، إذا ترك الأمر لمصلحة المأمور. ومن الآيات التي تدل صيغة الأمر فيها في هذه السورة على معنى الإرشاد والتوجيه هي:

- ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: 21] تأمل - أيها الرسول - في كيفية تفضيل الله بعض الناس على بعض في الدنيا في الرزق والعمل، وللآخرة أكبر درجات للمؤمنين وأكبر تفضيلاً.³ "انظر" أمر أريد به الإرشاد؛ كأن الله يرشد نبيه وكل من يقرأ الآية بأن ينظر في تفضيل الله بعض الناس على بعضهم الآخر بعين الاعتبار⁴، ولا يأمره على وجه الإلزام.
- ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: 48] أي تفكر - أيها الرسول - تعجباً من قولهم: إن محمداً ساحر شاعر مجنون! فجاروا وانحرفوا، ولم يهتدوا إلى طريق الحق والصواب.⁵ هذا الأمر كذلك للإرشاد، بأن أريد به بيان اتهامات المشركين للرسول بالسحر مرة والكهانة ثانية والجنون ثالثة بحثاً عن الخلاص من دعوة التوحيد؛ إذن ليس الأمر هنا أمر إلزام بل أمر إرشاد للاعتبار والتفكير.⁶

1. اللكنوي، قمر الأقمار لنور الأنوار، ط1، بيروت: لبنان، دار الكتب العلمية، 1415هـ، ص53-54، الخليلي، نيل المأمول حاشية شرح سميت الوصول، ط1، مكتبة غانم، 1445هـ، تركيا، 101/1، حبكة الميداني، البلاغة العربية، ط1، دمشق: دار القلم، 1416هـ، 232/1.

2. التمرناشي، الوصول إلى قواعد الأصول، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1420هـ، ص130، ملا جيون، نور الأنوار، مركز الإمام البخاري للتراث، 1998م، ص100.

3. الزمخشري، تفسير الكشاف، مكتبة رحيمية، كويت، د.ت: 614/2.

4. النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ط1، دار الكلم الطيب، بيروت، 1419هـ، 251/2.

5. الجزائري، أيسر التفاسير، دار الفكر، بيروت، 1998م: 805/1.

6. الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1420هـ، 462/17.

صِيغَةُ الْأَمْرِ وَأَسْرَارُهَا الْبَلَاغِيَّةُ فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ؛ فَضْلُ أَحْمَدَ فَضْلُ؛ عَزِيزُ الرَّحْمَنِ حَنْفِي

الثاني: معنى التهديد

قد يأتي لفظ الأمر بمعنى التهديد كما في قوله تعالى: اْعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (40) وصيغة الأمر لا تستعمل هنا لمعنى الطلب الحقيقي بل بمعنى التهديد والأمر بهذا المعنى والدلالة كثير في كتاب الله تعالى.

من الآيات التي تدل صيغة الأمر في السورة على معنى التهديد هي:

- ﴿ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُ مَوْفُورًا (63) وَأَسْتَغْفِرُ مَنْ أَسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبَ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكِهِمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَذُرِّيَّتِهِمْ وَمَا يَعْدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [الإسراء: 63-64].

يتوعد الله تعالى إبليس وأتباعه قائلاً: اذهب فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ، فَأَطَاعَكَ، فَإِنْ عَقَابَكَ وَعَقَابَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ. ثم يقول استخف كل مَنْ تستطيع استخفافه بدعوتهم إلى معصيتي، واجمع عليهم كل ما تقدر عليه مِنْ جنودك راكبا وراجلا، واجعل لنفسك نصيبا في أموالهم بأن يكسبوها من الحرام، ونصيبا في الأولاد بتزيين الزنا والمعاصي، ومخالفة أوامر الله تعالى وكثرة الفجور والفساد، وعدّ أتباعك بوعود كاذبة، فكل ما يعدهم الشيطان هو غرور وباطل. وفي النهاية، فإن عبادي المؤمنين المخلصين الذين أطاعوني ليس لك عليهم سلطان، وكفى بربك - أيها النبي - عاصمًا وحافظًا للمؤمنين مِنْ كيد الشيطان وغروره.¹

كما شاهدنا في هذه الآيات أفعال أمر متعددة وهي: (اذهب، استغفر، أجب، شارك وعد). كل هذه الأفعال الخمسة جاءت بصيغة الأمر والمراد منه التهديد والاستدراج لا التكليف، لما نرى فيه من هذه المعنى². أي ليس معنى الأمر هنا الإلزام والوجوب بما أمر الله تعالى إبليس ولكن المراد من الأمر تهديده تعالى الشيطان بأنه حرّ بما يشاء ويفعل مع عباده، فمن تبعه فإنه منه ويكون معه في الجحيم ومن خالف الشيطان وعصاه فإنه تعالى وكيله وناصره ويدخله الجنة. إذن لو أعطى الله فرصة للشيطان لتضليل عباده، لا يمكنه تضليل كلهم إلا ومن أراد فليتبع الشيطان.

الثالث: معنى التسوية

قد ترد صيغة الأمر بمعنى التسوية بين فعلين متضادين، بمعنى عدم منع الأمور من فعل أيهما شاء، كقولك: ناج حميداً أو عمراً وهذا هو الغالب في صيغة (افعل) إذا اقترنت ب (أو) العاطفة التي تصل بين نقيضين.

ومن الآيات التي تدل صيغة الأمر في هذه السورة على معنى التسوية:

- ﴿ قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوا بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: 110]. قل - أيها الرسول - لمشركي قومك الذين أنكروا عليك الدعاء بقولك: يا الله يا

رحمن، ادعوا الله، أو ادعوا الرحمن، فأَي من هذين الاسمين استخدمتم في الدعاء فإنكم تدعون ربا واحدا لأن

1. الجزائري، نفس المرجع، 811/1.

2. القنوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن، المكتبة العصرية، بيروت، 1412هـ، 418/7.

صيغ الأمر وأسرارها البلاغية في سورة الإسراء؛ فضل أحمد فضل؛ عزيز الرحمن حنفي

أسمائه كلها حسنى. ولا تجهر بالقراءة في صلاتك، فيسمعك المشركون، ولا تخافت بها فلا يسمعك أصحابك، بل اسلك طريقا وسطا بين الجهر والإسرار.¹

في هذه الآية الكريمة الأمر بدعوة الله باسم الله وباسم الرحمن كليهما، أي لا فرق بين الدعائين، فكل واحد من الأسماء اسم من الأسماء الحسنى التي أطلق الله تعالى عليه، فدعاه بأيهما سويٌّ لديه تعالى.

- ﴿قُلْ ءَامِنُوا بِهِ^٢ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ^٣ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ۝ ١٠٧﴾ [الإسراء: 107]. قل أيها الرسول لهؤلاء المكذبين: آمنوا بالقرآن أو لا تؤمنوا؛ فإن إيمانكم لا يزيده كمالا وتكذيبكم لا يُلحق به نقصًا. إن العلماء الذين أوتوا الكتب السابقة من قبل القرآن، وعرفوا حقيقة الوحي، إذا قرئ عليهم القرآن يخشعون، فيسجدون على وجوههم لله سبحانه وتعالى.² الأمر هنا ليس لإلزام الكفار، بل الأمر هنا بمعنى التسوية في أن يؤمنوا أو لا يؤمنوا. أي أمر الرسول بالإعراض عنهم واحتقارهم والازدراء بشأنهم وألا يكثر بهم وبإيمانهم وبامتناعهم عنه.³

الرابع: معنى الدعاء

تأتي صيغة الأمر أحياناً لتفيد معنى الدعاء، وذلك إذا أُستعملت في طلب الفعل على سبيل التضرع والابتهال إلى الله تعالى وكل صيغ الأمر التي ترد على هذا المعنى تدخل فيه. وفي هذه الحالة قد ينعكس ترتيب الأمر والمأمور فليس للأمر استعلاء على المأمور، بل المأمور هو المستعلي في الدعاء على الأمر.

من الآيات التي تدل صيغة الأمر في السورة على معنى الدعاء هي آية واحدة وعدة أفعال:

- ﴿وَقُلْ رَبِّ ادْخُلْنِيْ مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِيْ مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِّيْ مِنْ لَّدُنْكَ سُلْطٰنًا نَّصِيْرًا﴾ [الإسراء: 80] في الآية السالفة أمر الله تعالى رسوله ﷺ بالصلاة والعبادة فقال له: قم - أيها النبي - من نومك بعض الليل، واقرأ القرآن في صلاة الليل؛ لتكون صلاة الليل زيادة لك في علو القدر ورفع الدرجات، عسى أن يعثك الله شفيعاً للناس يوم القيامة؛ فيحمدك فيه الأولون والآخرون. ففي هذه الآية أمره الله بالدعاء بصيغة الأمر: وقُلْ رَبِّ ادْخُلْنِيْ فِيْهَا هو خير لي مدخل صدق، وأخرجني مما هو شر لي مخرج صدق، واجعل لي من لدنك حجة ثابتة، تنصري بها على جميع من خالفني.⁴ ففي الآية دعاء من العبد إلى الله تعالى وليس الأمر على وجه الاستعلاء من الأمر إلى المأمور بل على العكس.

- الخامس: معنى التعجيز

والمراد أن صيغة الامر قد تستعمل أحيانا لا على سبيل الحقيقة بل على سبيل المجاز بمعنى التعجيز. من الآيات التي تدل صيغة الأمر في السورة على هذا المعنى هي:

1 . الزمخشري، نفس المرجع: 654/2، والقنوجي، نفس المرجع، 466/7.

2 . الزمخشري، نفس المرجع: 652/2.

3 . نفس المرجع والقنوجي، نفس المرجع، 468/7.

4 . الجزائري، نفس المرجع: 805/1، والشوكاني، فتح القدير، ط1، دار ابن كثير، بيروت، 1414هـ، 300/3.

صنع الأمر وأسرارها البلاغية في سورة الإسراء؛ فضل أحمد فضل؛ عزيز الرحمن حنفي

- ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ [الإسراء: 50]. قل لهم - أيها الرسول - على سبيل التعجيز: كونوا حجارة أو حديدا في الشدة والقوة إن قدرتم على ذلك، فإن الله يعيدكم كما خلقكم أول مرة، وذلك على الله تعالى يسير. وهذا الأمر ليس إلزاما، بل هو تعجيز، ومعناه إن عجبتم من أن الله تعالى إذا شاء أعادكم عظاما ولحما، فكونوا أنتم حجارة أو حديدا إن قدرتم. والأمر واضح في أنهم عاجزون عن جعل أنفسهم حجارة أو حديدا.¹

- ﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ رَعَيْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء: 56]. قل - أيها الرسول - لمشركي قومك: إن هذه المعبودات التي تنادونها لكشف الضر عنكم لا تملك ذلك، ولا تقدر على تحويله عنكم إلى غيركم، ولا تقدر على تحويله من حال إلى حال، فالتقادر على ذلك هو الله وحده. وهذه الآية عامة في كل ما يُدعى من دون الله، ميتا كان أو غائبا، من الأنبياء والصالحين وغيرهم، بلفظ الاستغاثة أو الدعاء أو غيرهما، فلا معبود بحق إلا الله.² ففي هذه الآية يأمر الله تعالى المشركين بأن يدعوا أنداد الله ليساعدتهم ويكشف عنهم ضرهم ويغير حالهم، لكن الأمر ليس للوجوب، بل للتعجيز؛ أي يقول الله تعالى إن يقدر أربابكم وأهنتكم كشف الضر عنكم فادعوهم ليفعلوا ما يشاءون، ولكنهم عاجزون عن ذلك! لأن الأمر كله لله فلا نافع ولا ضار إلا الله ولا ناصر ولا معين سواه.

1 . الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ، 133/3.

2 . الجزائري، نفس المرجع: 808/1.

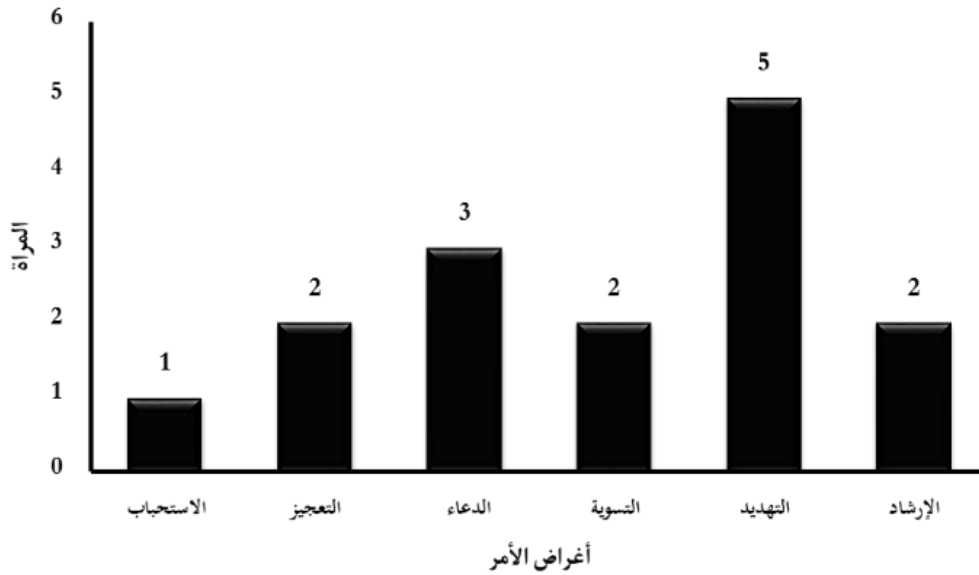
صيغ الأمر وأسرارها البلاغية في سورة الإسراء؛ فضل أحمد فضل؛ عزيز الرحمن حنفي

السادس: معنى الاستحباب

الأمر في بعض المواضع لا يكون بمعنى الوجوب بل على العكس بمعنى يأتي بمعنى الاستحباب، أي إنجاز الفعل مستحب ومندوب للمأمور وليس بواجب عليه.

ومن الآيات التي تدل صيغة الأمر في السورة على معنى الاستحباب والندب هي آية واحدة:

- ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: 79]. وقم - أيها النبي - من نومك بعض الليل، فاقراً القرآن في صلاة الليل؛ لتكون صلاة الليل زيادة لك في علو القدر ورفع الدرجات، عسى أن يبعثك الله شافعاً للناس يوم القيامة؛ وبقيمتك مقاما يحمذك فيه الأولون والآخرون وأمر الرسول بإقامة صلاة التهجد هنا ليس واجبا عليه بل هو مستحب أريد منه على سبيل الندب.¹



السابع: معنى الوجوب (المعنى الحقيقي)

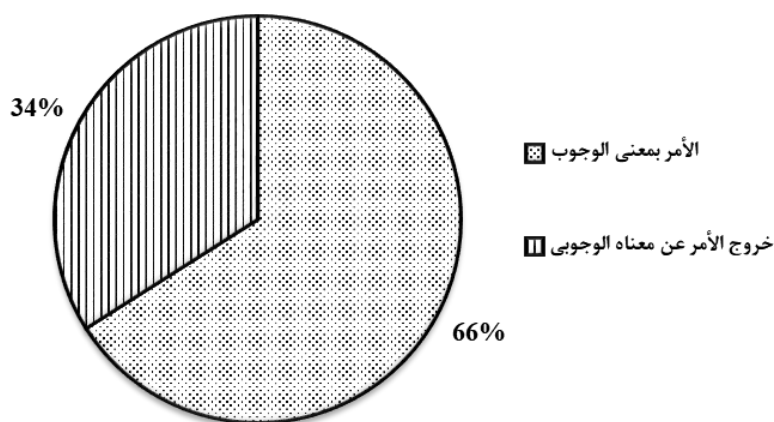
إذا تأملت في أفعال الأمر الواردة في سورة الإسراء، المنفصلة عن كل قرينة لفظية أو حالية، رأيت أن جملة هذه الأفعال تدل على الوجوب حيث لا توجد قرينة تصرفها عن هذا المعنى. والقرينة اللفظية هي ما يقترن بالأمر مما يدل على الوجوب، أما القرينة الحالية فكأن يُخاطب الأمر المأمور بصيغة شديدة أو بعبارة حاسمة حازمة. كذلك قد تستعمل صيغة الأمر مع عقوبات ومواعيد شديدة وأنه لا تترتب هذه العقوبات على مجرد المندوب أو المستحب، كما أن الله تعالى سَمَّى هذه المخالفة عصياناً والعصيان يُوجب العقوبة. فمجيء العقوبات بعد أو قبل صيغ الأمر قد تكون قرينة في أن الأمر يراد منه معنى الوجوب لا معنى آخر. إذن صيغة الأمر إذا أُطلقت وتجردت عن القرينة دَلَّت على الوجوب، إلا إذا دَلَّ الدليل على غير ذلك أو يُصرف هذا الأمر إلى غيره.

1. الجزائري، نفس المرجع: 805/1، والجصاص، أحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1405هـ، 33/5.

صيغ الأمر وأسرارها البلاغية في سورة الإسراء؛ فضل أحمد فضل؛ عزيز الرحمن حنفي

كما شاهدنا في السورة 17 صيغة للأمر لغير الوجوب، أي خرج الأمر عن معناه الحقيقي ودل على معان أخرى كما سبق بيانه. وأما صيغة الأمر بمعنى الوجوب؛ فقد ورد أكثر من 21 مرة جاء فعل الأمر بصيغة «قل» وهو أمر الله رسوله ﷺ لإبلاغ الأحكام إلى الناس أجمعين وخاصة كفار قريش و12 مرة جاءت صيغة الأمر في تشريع الأحكام. من تلك الصيغ التي تدل على الوجوب في هذه السورة:

- ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْنِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: 24]
- ﴿وَعَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ نَبْذِيرًا﴾ [الإسراء: 26]
- ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: 34]
- ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كُنْتُمْ وَزَنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [الإسراء: 35]



النتيجة

من خلال بحثنا هذا وصلنا إلى النتائج التالية:

- (1) القرآن الكريم معجز بلفظه ومعناه، وهو من عند الله سبحانه وتعالى، ولا يمكن لأي بشر أن يأتي بمثله. ويتميز هذا الكتاب بأسلوب خاص تحتضن أساليب متنوعة من الأمر والنهي والاستفهام وغيرها من الأساليب الشائعة في اللغة العربية.
- (2) يعد الأمر أسلوب من أساليب العرب، وهو من أكثر الأساليب دورا في الكلام وله تأثير خاص في المخاطب.
- (3) والأصل في الأمر هو وجوب الامتثال، لكنه قد يصرف هن هذا المعنى الوضعي ليؤدي معنى جديدا يتمثل في الندب والدعاء والالتماس والإرشاد والإباحة وغيرها من الدلالات المستجدة في دلالة صيغة الأمر.
- (4) تبين مما سبق أن صيغ الأمر لا تأتي دائما بمعنى الوجوب بل ينبغي التأمل في السياق الذي وردت فيه لمعرفة المراد منها، كما أن عدم الوجوب قد لا يستفاد من السياق نفسه، وإنما من أدلة خارجية تصرف الوجوب إلى الإباحة أو معنى آخر غير الوجوب.
- (5) صيغة الأمر إذا أطلقت وتجردت عن القرينة دلّت على الوجوب، إلا إذا دلّ الدليل على غير ذلك أو يُصرف هذا الأمر إلى غيره، والقرينة إما أن تكون مُتصلة أو مُنفصلة.

صيغ الأمر وأسرارها البلاغية في سورة الإسراء؛ فضل أحمد فضل؛ عزيز الرحمن حنفي

(6) شاهدنا في سورة الإسراء استعمال صيغ الأمر أكثر من بقية السور، لتناسب مع مضمون السورة ورسالتها العامة.

(7) كما شاهدنا في السورة 17 صيغة لأمر غير وجوبي، أي خرج الأمر عن معناه الحقيقي ودل على معان أخرى وفي أغراض مختلفة.

(8) وأما حول الأمر بصيغة الوجوب؛ فقد ورد أكثر من 21 بصيغة «قل» وهو أمر من الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم لتبليغ الأحكام إلى الناس أجمعين وخاصة كفار قريش وفي 12 مرة جاءت صيغة الأمر في أفعال متعددة لتشريع الأحكام تنظم علاقة الناس بعضهم ببعض.

(9) نستنتج من هذه الإحصائيات أن القرآن معجزة لغوية باهرة في انتقاء الكلمات واختيار الصيغ في الكلام، صادرة من قوة فوق قوة البشر.

(10) إن أسلوب الأمر في القرآن الكريم وخاصة في هذه السورة المباركة أعطى مزية خاصة لهذا الكتاب المعجز الذي نزل من عند الله سبحانه وتعالى، بحيث استخدم كل صيغة من صيغ الأمر في موضعها من الخطاب الإلهي للرسول ﷺ وللنبي ﷺ جميعاً.

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم
2. أبو المعالي القزويني، محمد بن عبد الرحمن (د.ت) الإيضاح في علوم البلاغة، ط3، بيروت: لبنان، دار الجيل.
3. التمرتاشي، محمد بن عبد الله الغزي (1420هـ) الوصول إلى قواعد الأصول، ط1، بيروت: لبنان، دار الكتب العلمية.
4. الجارم، أمين (2010م) البلاغة الواضحة، ط2، مكتبة البشري، كراتشي.
5. الجزائري، أبو بكر جابر. (1998م). أيسر التفاسير، بيروت: دار الفكر.
6. حبنكة الميداني، عبد الرحمن بن حسن (1416هـ) البلاغة العربية، ط1، سوريا: دمشق، دار القلم.
7. الخليلي، لؤي عبد الرؤوف (1445هـ) نيل المأمول حاشية شرح سمّت الوصول، الطبعة الأولى، تركيا: إسطنبول، مكتبة غانم.
8. الزمخشري، أبي القاسم جار الله محمود بن عمر. (د.ت). تفسير الكشاف، كويت: مكتبة رحيمية.
9. شهاب الدين محمود بن عبد الله، الألوسي (1415هـ) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ط1، بيروت: لبنان، دار الكتب العلمية.
10. الشوكاني، محمد علي (1414هـ) فتح القدير، ط1، بيروت، دار ابن كثير.
11. الصابوني، محمد علي (د.ت) صفوة التفاسير، باكستان: كويت، المكتبة الحبيبية.
12. الطبري، محمد بن جرير (1420هـ) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة.
13. القنوجي، صديق حسن خان (1412هـ) فتح البيان في مقاصد القرآن، د.ط، بيروت، المكتبة العصرية.

صنيع الأمر وأسرارها البلاغية في سورة الإسراء؛ فضل أحمد فضل؛ عزيز الرحمن حنفي

14. اللكنوي، محمد عبد الحليم (1415هـ) قمر الأقمار لنور الأنوار، ط1، بيروت: لبنان، دار الكتب العلمية.
15. المراغي، أحمد بن مصطفى (1984م) علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع، ط2، بيروت: لبنان، دار القلم.
16. ملا جيون الحنفي، أحمد بن أبي سعيد. (1998م) نور الأنوار في شرح المنار، ط1، باكستان: صادق آباد، مركز الإمام البخاري للتراث والتحقيق، الجامعة الإسلامية.
17. النسفي، أبو البركات حافظ الدين محمد بن عبد الله (1419هـ) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ط1، بيروت: لبنان، دار الكلم الطيب.
18. الهاشمي، أحمد بن إبراهيم (د.ت) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، بيروت، المكتبة العصرية.
19. الخازن، علاء الدين علي بن محمد (1415هـ) لباب التأويل في معاني التنزيل، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية.
20. الجصاص، أبوبكر أحمد بن علي (1405هـ) أحكام القرآن، بيروت، دار إحياء التراث العربي.